دراسة المقارنة بين الشاعرين النجيريين "ألبي الإلوري" و"غمبا النصرواي" في شعر الاجتماعيات

[Study of Comparative Literature Between two Nigerian Poets: Alabi and Gimba in Social Poetry]

Aminullahi Ahmad Rufai
Department of Languages and Linguistics, Bamidele Olumilua University of Education Science and Technology, Ikere Ekiti, Nigeria aminullahi.ahmad@bouesti.edu.ng

Abdulbaqy, Yahya Z
Department of Languages, Faculty of arts, Al-Hikmah University, Ilorin, Nigeria.
yahbaqy@gmail.com

Article Progress:

Submission date: 01-12-2023
Accepted date: 20-12-2023

ABSTRACT

This paper examines an aspect of classical Literature. The research attempts to find out the interrelation between Literature work in various civilizations and cultures in Nigeria, particularly in the aspect of poems that discourse on social issues and problems. The aim is to unify the ideas and concepts of Nigerian Poets on Social Poetry. The methodologies adopted for the research are Historical, Descriptive, and Analytical. The research findings include Nigerian Literature work is full of many classical social poetries, it also discovered the unity of thoughts and ideas in some areas, despite the differences in the background of the poets i.e. Arabic/English/Hausa/Yoruba/Fulani. The paper concludes that classical literature is a clear vision and reflection of any society no matter what language it is used in the presentation.

Keywords: *Comparative; Literature; Nigeria; Alabi; Gimba; Poetry*

المقدمة

سيظلّ الأديب حكما وشعبيا ما دام آبقا في فكرته على فعاليات، وتجليات المجتمع الذي يمثله، ومحافظة في لغته على تقاليدهم وعاداتهم. والأديب أحد الطرفين إما لسان الدولة، فيكون في ذلك مادحا لها في صنائعها، راوجا في مدح رجالها، أو يكون لسان الرعية، فيدفع عن حرمتهم وحريتهم.

وواقع نيجيريا في اجتماعيتها على أسس القبائل المختلفة، وفي سياستها على عمدة الديقراطية، وفي اقتصاديتها على نمط رأسمالي، وفي اعتقاد قومها على أديان مختلفة، فإن هذه وتلك مؤثرات قوية للشعر خاصة وللأدب عامة، ولول الموهبة، وطلب طول النفس في قرض الشعر، لصلح لكل شخص ذكرا أم أنثى في هذا الوطن أن يعبر عن ظلام ضميره، لأنه يشهد في كل لحظة وقائع وأحداث تجدر على إيقاظ العاطفة والشعور، ومن ثم، فقد استطاع الشاعر الإلوري ألابي والنصراوي غمبا ليرفع رأسهما من بين عدد غفير من سكان هذا الوطن، فقالا الشعر في الالتزام، والحرية الإنسانية، والشاعران وإن اختلفا في أصل ثقافتهما؛ هذا مستعرب، وذاك مستغرب، فإنهما تلاقيا في أصول أدبية متعددة، لأنهما

قصدا غرضا واحدا في بيئة واحدة. وعلى هذا الأساس، نوت هذه المقالة لتقوم بالموازنة الأدبية بين شعرهما في الالتزام والحرية، وقد تم تحديد المقالة في العناصر التالية: التمهيد، ونبذة عن الشاعرين، نماذج من شعر الالتزام للشاعرين، موارد الاتفاق بين الشاعرين، مخصصات الشاعرين، مؤخذات الشاعرين، الخاتمة، المصادر والمراجع.

نبذة عن الشاعر الأول (عيسى ألبي أبي بكر الإلوري)

حياته ونشأته

هو عيسى ألبي بن أبي بكر، ولد بمدينة كماسي الغانوية لأبوين إلوريين عام 1953م، نشأ نشأة صبيان الإفريقية في زمانه في غانة على ثقافة إسلامية هادفة، فتعلّم القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية على أيدي مشايخ إلورن، ثم أدخلته جدّته حليمة السعدية مركز التعليم العربي الإسلامي وفيه حصل الشهادتين الإعدادية، والتوجيهية،(1965-1971) وفيه نبغ في الشعر العربي نبوغا أعجب به مشايخه، وأساتذته، وزملائه. (أغاكا، 2005)

وفي عام (1976-1979م) حصل على شهادة الدبلوم في اللغة العربية بجامعة بايرو بكنو، والماجستير في عام (1984-1985) في نفس التخصص والجامعة، وعلى الليسانس والدكتوراه في اللغة العربية من جامعة إلورن، ما بين (1982م) و(2000م) والدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود بالرياض في (1990م).

عمل مدرّسا ردحا من الزمن في أحد فروع المركز الأم بإيجبو، فدار العلوم لجبهة العلماء والأئمة بمدينة إلورن، الذي ظلّ فيه مناظرا، وذلك ما بين 1984-1994م، ومحاضرا في قسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، قبل أن ساقه الحظ بالعودة إلى بلدته إلورن عام 1994م، منتقلا إلى جامعة إلورن حيث يعمل حاليا محاضرا للغة العربية وآدابها، ومديرا لمركز الانضمام الدراسي بين عام 2010-2014، وقد تم له قضاء سنة إجازة العمل بجامعة ليغون بدولة غانا محاضرا في اللغة العربية. (جمبا، 2005)

كان فضيلة الدكتور عيسى ألبي زميل والدي في الدرب، فهو إذا أبي تبعا لعادتنا الإفريقية، ويتمثل في الصدارة من بين فحول الشعر العربي في نيجيريا، وكما يعدّ فارسا من فرسانه المتحكمين فيه. يمتاز شعره بكل ما يتصف به الشعر الجيّد، من حسن الديباجة، وكعب المعاني، وقوة التأثير، وروعة النظم، والوحدة الفنية والعضوية. وقد منحته هذه القدرة الشعرية بجائزة الفوز بالدرجة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض في أحد تنشيطها الأسبوعي توعية على مضار التدخين عام 1991م، وله قصائد منشورة في مجلات علميّة محكمة في نيجيريا وبلاد العرب.

ويرى د.جمبا أنه" يحيي بشعره المناسبات الدينية، والإجتماعية، ويملأ الأمسيات الأدبية بالآلي والدرر من جود قرائحه، فلا غرو إذن أن أصبحت قصائده قيثاره الأدباء، ونأي عشاق العربية وطلابها في هذه الديار، يجد فيها كل ضالته المنشودة، وهذا الديوان وعاء لتجربة الشاعر وفلسفته ونظرته في الكون زهاء ثلاثة عقود من الزمن". (جمبا، 2005)

وله دواوين شعرية محكمة، ومؤلفات منشورة وغير منشورة، منها: ديوان الرياض، والسباعيات، وصوت الخاطر، ومن مؤلفاته: "دراسات في شعر الجهاد لدى محمد بلّو" و"أساليب بلاغية لدى الشيخ عبد الله" و"أعمال العلامة الإلوري قراءة وتلخيص". وعن مقالاته في المجلات العلمية عن البحر حدّث فلا حرج.

نبذة عن الشاعر الثاني (أبو بكر غمبا النصراوي)

مولده ونشأته

ولد الشاعر غمبا بقرية لافيا، في إمارة لاَبَيْ، ولاية نصراوى النيجيرية في العاشر من شهر مارس عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين الميلادي (1952م)، وأصل أبويه من ولاية نيجر، أقبل على المناهج التعلمية والتربية الناشئة في شبابه، قبل التقائه بجامعة أحمد بلو بزاريا عام ألف تسعمائة وسبعين، وتخرّج منها بشهادة بكليورس في علم الاقتصاد عام 1974م، ثم التحق بجامعة شنشنتي (Cincinnati) في الولاية المتحدة بأمريكا وحصل على الماجستير في علم الاقتصاد عام 1976م، وشارك في برنامج تخطيط مشروع للبنية بجامعة "برادفورد" *Bradford* ببرطانية عام 1982م. (غمبا، 2015)

عمل غمبا ردحا من الزمن كمصرّف حتى وصل مرتبة المدير التنفيذي لمصرف "المصرف المتحد للإفريقية" (*UBA*) ومصرف "اتحاد المصرف لنيجيريا"، وكما عيّن أمينا دائما لتخطيط التمويل والاقتصاد تحت قيادة رئيس مجلس النواب دافِيد مَيْكْ *David Mark* كحاكم ولاية نيجر، وعيّن كذلك مستشارا للشئون السياسية في عهد الرئيس النيجيري المنتخب غُدْلوك جَوناَتن *Goodluck Ebele Jonatahn*

نال جوائز عدة منها، جائزة ترتيب الجمهورية الفدرالية *Order of the Federal Republic(OFR)* ، ولجدارة ذكائه وضخم ذاتيته، ومهارته في الكتابة والشعر، عيّن رئيسا وسكرتيرا لمؤسسات متعددة داخل الوطن وخارجها، ومن أهمها: رئيس اتحاد الكتاب النيجيريين، *Association of Nigerian Authors.(ANA)* وعيّن مراقبا لانتخاب رئيس جَوْرج بُوشِ الصغير George Bush Jr بوشنطن (*Washington*). ومع هذا كله هو رجل اجتماعيّ، وقد تزوج بثلاث امرأة، ورزق منهن عدد غفير من الأولاد.

للترجم له مصنفات عديدة في المسرحية، ودواوين في الشعر الانجليزي، منها: (غمبا، 2001)

Trail of Sacrifice,
Innocent Victims,
This Land of Ours

وغير هذه الثلاثة من دواوينه ما لا يسمح لنا الحال ذكرها، وستتركز المقالة على بعض أشعاره في ديوانه *This Our Land*. لموافقة أفكاره فيها مع ما ورد من نظيره الشاعر النيجيري العربي عيسى ألبي في عنوان متقابل "جروح بلادي"، وإليك نماذج من أشعارهما في أدب الالتزام.

نماذج شعر الالتزام لدى الشاعرين

النموذج الأول لامية ألبي "جروح بلادي"

وفي وصف حزنه لما وضع بلاده نيجيريا في عداد الدول التي تفشى فيها الفساد بشتى الألوان، فقال:

جروح بلادي متى تندمل ونضج رجالي متى يكتمل
تمرّ علينا السنون بـــلا جهود تعلّلنا بالأمل
تئنّ بلادي وصـــورتها مشوّهة عند كل الدول
ضميري يؤلّمه قولهـــــم (نيجيريا) مكتظة بالعلل
بلادي عن حجم خيراتها وأنجابها في الورى لا تسل
فهل ذاك أجدى العباد وهل أفادهم في جواز الوجل
مآسي بلادي متى تنتهـي جروح بلادي متى تندمل (ألبي، 2005)

وفي المقابل تلقى نظيره غمبا يحزن على فساد بلاده نيجيريا في قصيدته (A PEACE ZONE) التي يقول في مطلعها:

There are no artilleries here.
No armored vehicles, no warplanes
Only a few dead bodies
For skirmishes over a trespass by an ant
A Minor infraction on our sea of calm
This is a peaceful country.
Not a war zone
No prisoners war, no concentration camps
Only wailing widows
And crying orphaned children
For a dispute over water rights
A minor blight from battles with clubs
Not enough to stampede peace into flight
This is a peaceful country.
Not a war zone
Where only guns and bombs boom (Gimba, 2001)

النموذج الثاني: نونية ألابي "بلادنا والظلام" في وصف حالة الكهرب في نيجيريا السيئة

بـلادنا والظـلام سيّـان وأمر هذا الفساد أعياني
أيـن رئيس مـوفّق يقـظ ينقذنا من برائن الجاني
وليلـة ظلمة أكـابدهـا أبيتها مثل قلب شيطان
سوادها مثل فحمة منعت لخوفها من خروج فيران
خيول هذي البلاد جامحة أعيت طويلا عقول فرسان
كتائب القوم–أين قائدها تسير في الغيّ مثل حيران
رجعت من (غانا) وهي تبهرني نورا وقومي في ظلمة العاني. (جمبا، 2005)

وعلى الوجه المقابل يصف نظيره غمبا حالة الأمن وقطاع الطرق في نيجيريا في قصيدته (THE BATTLE FRONT). هذا ولا شك فإن قضية الكهرب، والأمن وتوفير الماء من الأساسيات الإجتماعية التي تعدّ من

حرمات الإنسان لاتي لا بدّ من توفيرها لدى كل حاكم أو دولة. ويقول غمبا في عرض حزنه على حالة الأمن في نيجيريا:

On the highways, far from the towns
Under the dark blanket of the night,
When journeymen dream of unwitnessed arrival
Smooth, uninterrupted ride
A joy not even a log across the road could mar
Just a little delay, a police road-block stare
But them...!
A staccato of bullets from the bush!
Soldiers of the night, without uniforms
With assorted guns threatening with death
Money is all the storm and rain of blood
For your life you plead, all you have is theirs. (Gimba, 2001)

النموذج الثالث: ميمية ألبي "حبّ البلاد"

حبي لقومـــي يـزيد الهمّ والألما لأنهـــم رفضوا أن يشبهوا الأمما
أعيش فيهم حياة لا أحبّذهـــا ومـــن يحبّذ شعبا ضيّع الذمـــا
أخبارهم في ربوع الأرض شائعة أين الذي سمع الأخبار فابتسما
(نيجيريا) موطن الأمجاد قد نبعت منهـــا عقول تبثّ العلم والقيما
من يستعيد لها لله صحوتها ومن يحـــاول أن يُحْيِ لها الهمما
أريدها درّة في الغرب نادرة يسير أبناؤها نحو العلى قُدُما. (جمبا، 2005)

وفي المقابل تأتي قصيدة (THE TOWN-CRIER) للشاعر النصراوي غمبا، ليحذو حذو نظيره، ويقول:

Harbinger of tales to make our hearts glow
Sitting in our stomach incontinent, making it growl
But whether our faces with smiles you light
And our day's mirth you mar with fright
To the sounds of your drum's solemn beat
Our hearts succumb like ice cubes to heat
And our cars thou commands to heed
Receptacles ever strong to receive
The news of what is amiss
The bridge across the river
Our only access to the floods
Drowned our rice farms
With your drums herald the news. (Gimba, 2001)

والنظرة العميقة في النماذج المعرضة لكلا الشاعرين فإن المتتبع لها يدرك أنهما لزما قضية الالتزام في الأدب، وإن كان كل واحد منهما تناول القضية على حدود فكرته وإيمانه، ولم يقتد أحدهما الآخر، ولهذا تلقى عمل الشاعرين إعجابا عاليا

لدى الدارسين، والأدباء، والذوقيين سواء في الأدب العربي أو الأدب الإنجليزي، فلا حرج إذا قام الباحثان بالموازنة بينهما. ولا ندخل في صميم الموازنة بين هذين الشاعرين حتى نشير إلى بعض خصائصها ومقاييسها عند النقاد، ويتضح حدود ما موقف عليه في هذه القطعة الأدبية.

والموازنة لها خصائص ومعايير عبر العصور والأجيال، فكل جيل ينظر في هذه القضية على ما يصلح لعصره أن تقيم عليه عملية الموازنة بين أرحام الإنجازات الأدبية، وعلى مدى تتبع ميسر فإنه يبرز أن الموازنة في الجاهلية؛ إنما تبنى على المفاضلة؛ كما صنعت أم جندب امرأة امرئ القيس بين زوجه وعلقمة في وصف الفرس. وفي صدر الإسلام كان التنزيل حدّا فاصلا بينه وبين سائر كلام العرب، ولم يأت العصر بعده حتى شهد الأدب العربي منازعة أدبية راقية بين جرير، والفرزدق، والأخطل، وساعدت التطورات السياسية في تقدم هذا الفن، وجاء عصر العباس ببشار بن برد ومروان بن أبي حفصة، والبحتري، والمتنبي، فصلح بهم الأدب والنقد أحسن صتع، فكانت الموازنة منطوية ليست بين هؤلاء الشعراء فحسب، بل ظل الخطباء والكتاب يرعونها في دراسة اللفظ والمعنى، وبين الفكرة والفكرة، والخيال والخيال، وفي كل ما هو صالح لهذا الفن.

ومن هنا بدأ المحققون من النقاد والأدباء يحددون المقايسس والمعايير لعملية الموازنة، وكان ابن سلام الجمحي في الطبقات وازن بين فحول الشعراء، وجعلهم طبقات بمعايير ذوقه الأدبي، وجاء ابن قتيبة فرسم الموازنة في اختياره لكل شاعر ما يراه جيدا، ورتّب الشعر في أربعة منازل، والشعراء في منزلتين مطبوعين ومتكلفين.(الجمحي، 1975) ولم يتصدر إلى الموازنة بين شاعرين في النقد العربي قبل الآمدي، وقد صرح ذلك بتسمية كتابه: "الموازنة بين أبي تمام والبحتري" فقام بالمقارنة بين الشاعرين، منطلقا في ذلك إلى الاختلافات الجوهرية بينهما، وما يمتاز به كل منهما في صفاته وخصائصه، ولعل الآمدي أول من وفى بعهده لهذا الفن حيث تمكن من تناول الموازنة تناولا منهجيا من ناحيتيها المختلفتين: ناحية المفاضلة وناحية استنباط الخصائص. (الآمدي، 1994م)

ومن المعاصرين من ذهب إلى أن الموازنة فرع من النقد والوصف، كالعلامة زكي مبارك، فيراها: أن الموازن عليه أن يعرف حياة من يوازن بينهما، ويصل بين نفسه ونفسيهما لأن الأديب — كما يرى — يؤدي رسالة في خاص وبيئة خاصة، وأن يوسع أفق النقد وأن يكون واضحا ذا ذوق سديد، وعليه في الموازنة بين الشعراء أن يدرس نواحي اشتراكهم، وافتراقهم، وابتداعهم، وأخذهم إلى غير ذلك. (مبارك، 2015م).

وعلى أساس ما سبق من تتبع خصائص الموازنة عبر العصور، فإن موازنتنا لبعض أشعار ألبي وغمبا في الالتزام ستكون على منهج استنباط الخصائص، وليس المفاضلة، منكبا على عناصرها الفنية كما أوردها زكي مبارك من الاتفاق، والاختلاف، والإبداع، والأخذ. وتأتي الموازنة على نمط آت.

مدارك الاتفاق بين الشاعرين في الالتزام

يلتقي الشاعران الكبيران في مواطن عدة، وقد جمعتهم بيئة واحدة، ووحدت بينهم العقيدة، والفلسفة، والعادة، والهدف، ومن الملحوظ به أن الشاعرين يتفقان في الإيمان بأن حرية إنسانية لا تسقط الحاجة إلى الدفاع عنها، وأن الشعر آلة قوية

لا تمل قدرتها في الدفاع عن الحرمة الإنسانية، إذ هما من حملة رأية السعادة، وإن كانت السعادة تتغير من إنسان إلى آخر، ومن جيل إلى جيل آخر.

وقد رضي الشاعران بما رسمه الإسلام للسعادة، حيث لم يكتف بالسعادة الدنيوية كما توجد عند بقية المفكرين، بل يربط الإسلام بين السعادة الدنيوية بالأخروية، ويقرن متعة الروح بمتعة الجسد، لأن الإسلام أعطى البشرية ليحقق أقصى ما يستطيع من الوجهة المادية والصحية والغريزية ولم يشترط سوى نظافة الوسيلة وشرف الغاية.

ولذلك يوصف الأديب المسلم أديبا ملتزما بمنهج شامل في الحياة، يعبر عنه بالقول والعمل، ويتمثله في وحدته مع نفسه، وفي اندماجه مع أفراد مجتمعه. وأن العبد المسلم فرض عليه أن يرد يد الظالم والمظلوم في أي حال وجد نفسه فيها. ولما رأى ألبي وغمبا حالة بني جلدتهم في نيجيريا، مسلموهم وغير مسلميهم رفعا صوتهما دفاعا عن هذه الكابوسة الإنسانية المبكية. والمقطوع به أن الشاعرين النيجيريين يختار كل منهما عنوانا لوصف ضمائره ضدّ الظلم والفساد في بيئته، فتجدهما متوافقين في اختيارهما، فهذا ألبي يطلق على بعض قصائده "جروح بلادي" و"بلادنا والظلام" و"حب البلاد" وذاك غمبا يسمى ديوانا كاملا بعنوان: (This Land of Ours) وتلقى في هذا الديوان قصائد رائعة تتفق مع ألبي في أفكاره، وفلسفته، وإيمانه، وكأنهما تواصيا فيما بينهما في هذا العنصر الأدبي الرائع.

يقول ألبي في وصف حزنه على بلاده وما فشى فيها من الفساد:

جروح بلادي متى تندمل ** ونضج رجالي متى يكتمل

تمرّ علينا السنون بـلا**جهـود تعلّلنا بالأمـــل

تئنّ بلادي وصورتها** مشوّهة عند كل الدول. (ألبي 2005).

وأما غمبا فيصف حزنه في قصيدته (A PEACE ZONE):

There are no artilleries here
No armored vehicles, no warplanes
Only a few dead bodies (Gimba 2001)

لا تتوقع أن الشاعرين اختلفا في وصفهما، بل إنه يقوي وصف أحدهما الآخر، فألبي يصوّر حالة نيجيريا تصويرا توضيحيا، وغمبا يصورها تصويرا تصريحيا. ولما كانت قضايا اجتماعية لا تلتزم وطيرة واحدة وخاصة في منظور إسلامي فتغلق نظريات اقتصادية على أساس التزهد، ولا يرتبط بأية بقعة على وجه البسيطة دون غيرها، ولا بدولة ذات مذهب بعينه، وإنما يتسم بسمات إنسانية عالمية شاملة تتسع لبني البشر أجمعين، وتمجد الفضائل البشرية من حب، وأخوة، وتعاون، وشجاعة، وعدالة، ورحمة.

ولما فقدت نيجيريا بأجمعها جميع هذه الفضائل الإنسانية، حُق على من يملك آلة الدفاع أن يتصدر إلى الأمام بأي آلة تصلح للتغير الهادف، ولذلك لم تلق إنتاجات ألبي وغمبا قبولا واسعا لدى المسلمين فحسب، بل ظل غير المسلمين يردّدون أشعارهما في كل حين وآخر، لأنها أشعار تملك رسالة إنسانية عالية.

فألبي يذفر الدموع على نيجيريا للحالتين الإقتصادية والدبلوماسية، وغمبا من جانب آخر يرفع صوته على حالة الأمن والاستقرار، وهذه الأحوال كلها متداخلة بعضها في بعض، حتى بدأ المفكرون والباحثون يرون الفقر وسيلة خطيرة إلى عدم الأمن والاستقرار في العالم.

فلا جناح على الشاعرين إذا رفع الأول صوته على الفقر والبؤس الذي قد شوه وجه البلاد في الخارج، ورفع الآخر صوته على الأمن والاستقرار، حتى كأنه يتعجب من مكر قومه وخدعهم، فيرى أن بلاده في الحرب الفكري وقومها يمكرون على أنفسهم أن البلاد في تمام سلمها، وأمنها.

وقد عاد غمبا في القصيدة نفسها يحذو حذو ألبي في وصف حالة البؤس والفقر في نيجيريا، ذلك بأنه يوافق ألبي في أن الفقر أمهل السبيل إلى جميع الهبوط العقلي والخلقي في البلاد، ويقول:

No prisoners war, no concentration camps
Only wailing widows
And crying orphaned children,
For a dispute over water rights. (Gimba, 2002)

مدارك الاختلاف الشاعرين في الالتزام

وعلى مدى تتبع الشاعرين في انتاجتهما حول القضايا الإجتماعية فقد وقفنا على صور من العناصر الأدبية التي يتميز بها كل واحد منهما عن الآخر، ولعل مما يجدر الإحالة إليه هو مصدر ثقافة الشاعرين، والذي يختلف كل الإختلاف، فهذا قضى نحبه في اللغة العربية تعلّما، وتدريسا، وباحثا، ومحققا، وذاك تخصصه الإقتصاد وفيه قضى شطرا من حياته، وشطر آخر في السياسة، إلا أنه تذوّق بالأدب الإنجليزي فنال بغيته فيه.

ومن هنا يتجلى أن الشاعر ألبي إن كان أسطورة من أساطير العربية وآدابها في ديار نيجيريا، فإنه يعدّ نظيره أسطورة الاقتصاد والسياسة فيها، وآية في الأدب الإنجليزي بين الشعب. ولا تلزم ألبي الغربة في الإنجليزية، إذ أخذ نصيب الأسد فيها، وكما يتوقع أن يتخلق غمبا ببعض الآداب الإسلامية لكونه شماليا، وقد تخلّق أهلها بالقيم الإسلامية عادة، وثقافة، وعقلا.

هذا، ومهما حاول الباحثان أن يربط بين الشاعرين في العادة، والعقيدة، والبيئة، فإن الواقع الذي لا مفر منه، هو أن البيئة الإلورية التي قضى فيها ألبي جلّ حياته تختلف ببعض المزايا من بيئتي نصراوا وأبوجا اللتين عاش فيهما نظيره، ولا بدّ أن يكون لهذا تأثر منطقي في عملهما، إذ الأديب ابن بيئته المباشرة. ولن تقابل نصراوى إلورن في الحضارة الإسلامية، لا في القديم ولا في الحديث، ومما يدل على قدم إلورن في الحضارة الإسلامية، ما ذهب إليه أغاكا حيث يقول:

وتمتاز مدينة إلورن منذ أقدم العصور باستعدادها الفطري لابتكار أنماط جديدة من الحياة الفكرية مستمدة قواها من المعطيات الإنسانية، فبرع في ظلها عباقرة الأدب العربي والحضارة الإسلامية، ما ألهمها ملاحقة مدن ظلت في حواضر علمية على الرغم من حداثة عمرها. (أغاكا 2005م)

وثمة نقطة أخرى من وجه اختلاف الشاعرين أن حضارة ألبي الخارجية مكتسبة من أجلّ الدول العربية علما، وثقافة، وتجربة، كمصر، ولبيا، والمملكة العربية السعودية، ثم غانا، وأما نظيره فقد اعمتد على الغرب في تجربته وثقافته، كما أثبتت سيرته؛ فنراه آخذا من أمريكا حينا، ومن البريطانية حينا آخر.

ولا يهمنا في هذا الصدد المفاضلة وإنما محاولة تبيين وجوه الاختلاف بين الشاعرين، وكيف تأثر ذلك في قريضهما، وليدلنا على ذلك وصفهما لأحوال نيجيريا الطامية. فأما ألبي فيحزن على الكهرب أكثر لتعلق عمله به، ولم لا فهو محاضر في إحدى جامعتها، والمحاضر مرغي الدفاتر بكرة وأصيلا، مكتبا، أو مسكنا، فالبحث عندهم لا يتوقف، حيث وجدوا الفرصة حاولوا تسجيل خواطرهم، وما أدراك من كان شاعرا إضافة إلى كونه محاضرا كألبي، ولذلك يقول:

أيــن رئيس مــوفّق يقـــــظ ينقــذنا مـــن برائن الجــاني

وليلــة ظلمـــة أكابدهــا أبيتها مثل قلب شيطان

سوادها مثل فحمة منعت لخوفها من خروج فيران. (ألبي، 2005)

وأما غمبا فيصف لنا حالة الأمن وقطّاع الطرق، وهل من مصرف في نيجيريا ليس له تجربة اللصوص؟ وفي ذلك يقول غمبا لأنه رمز، بل أسطورة في المصرفين:

On the high streets, right inside the towns
With gun-inspired bravado they alight like locusts
Unmasked men, even the moon and the sun to witness
And the police, ah! Whose police?
To the deposit boxes of merchants and traders
The vault of banks easy targets they know too well
Court martyrdom with an alarm. (Gimba, 2001)

يلاحظ في هذا المقطعين كيف وقف ألبي في ظلمة ليل من ليال إلورن يتصور سواد الغسق لولا نعمة القمر والنجوم، لظل الأمر أسوأ، ولا تتمنى أن تصويره للخوف من الفيران خيالي محض، وإنما التصديق الذي بين يدي الواقع، وأما غمبا من جانب آخر، فهو يخشى على نفسه من ظلمة الليل في طرقات نيجيريا، لأن قُطّاعها مختفون في خضراء خصلتها، وهذا الغول المفزع لم يشهده الشاعر مرة واحدة، بل ذاق مرارها أكثر من مرة، فغمبا موظف المصرف الذي وصل أعلى المرتبة فيه، فهو إذا خبير في هذا التصوير المخوف الخطير. فقد عرف كيف يقيم هؤلاء اللصوص مهامهم في الغابات، والطرقات، حتى وفي بطون المدينة، وبيوت الناس. فألبي خاف من الفيران في ظلمات الليل مع ضعفه وخذلانه من سائر الحيوانات، ذلك لأن إمارة إلورن معروفة بالأمن والاستقرار منذ القدم، فظل أبناؤها يخافون حتى من الفيران الضعيف، وأما غمبا فخاف على نفسه وبيئته من قطاع الطرق في ظلمات الليل، فكلاهما يلتقيان من خوفهما على ظلمة الليل من عدم الكهرب، لكنهما خاف من مخوفين مختلفين متضادين فليس الفيران كأُسُد الغابات.

مدارك الإبداع كل من الشاعرين في الإلتزام

لا شك أن الشاعرين مبدعين مبتكرين في فكرتهما معجبين في أسلوبهما، فالأديب ليس كغيره في التفكير والتخيّل، ولذلك لا يقلل من شأنهم في بلدة من البلدان، لأنهم رمز كبير في تمثيل حضارة قومهم، وتقدمهم، وحيويتهم، فلن يكون

الشاعر موفيا إلا إذا طال نفسه في الإبداع والابتكار، والذي يهمنا في هذا الصدد قدرة إبداع الشاعرين النيجيرين ألبي وغمبا.

حقيقة إن إنتاج غمبا وألبي في شعر الاجتماع دليل يقنع السامع بعبقريتهما في ذلك الصنيع الأدبي الرائع، وأنهما ليسا مقليدين، فقد استطاع كل واحد منهما أن ينظر نظرة بعيدة في دفاع عن حرية شعبه، جماعة وأفرادا، ذكرا، وأنثى، كبارا، وصغارا، ومما يدل على ذلك أن معظم أحداث نيجيريا المبكية المؤسفة دائرة في نطاق الفنون الشعرية المألوفة في الأدب، وخاصة في الأدب العربي، وقد ساندت تلك الرؤية إبداع الشاعرين فاستطاعا أن يأتيا بتصوير جيد عميق لتلك الأحداث والوقائع الإنسانية، فإبداعاتهم في أشعارهم الاجتماعية مؤثرة ومخلدة، ومن ثم فإن القضايا الاجتماعية في الشعر تؤتي حرية واسعة للأديب أن يصور ما بدى له، وعلى هذه الرؤية المجيدة عرض الشاعران أبعادهما الإنسانية، وقد ظهر هذا كله في اختيارهما للعناوين، والفكرة، والأسلوب.

ومن أروع ما أبدعه ألبي في شعر الاجتماع في نيجيريا، ما ابتكره وصفا لعام 1944م في نيجيريا، حيث يقول:

يا عـام امض بـــآلام وأحــزان أنكى وأخبث من أنياب ثعبان
مُـلئت جـــورا وحـــرمانا ومنقصة وثقّلـوك بأهـــوال وحدثـــان
مناكب الأرض ناءت وهي شاكية لـــكنّها لم تفـز يومـــا بآذان
وفتّ بالبغض ما أبقى الوئام فـلا حلاوة الودّ ترجى عند إخوان
ســـاروا فضلوا كقطعان بلا هدف كأن أفواجهم في ركب شيطان
إن الســـياسة شطـــرنج تزاولـــه أيدي الرجـــال بناديهم بإتقان
ســـاد التقاطـع بين الناس وأسفى على التقاطع إذ يودي بأوطان (ألبي 2005)

تلك هي واقعة من وقائع نيجيريا قبل الاستقلال بستّ السنين، وانظر كيف أحسن ألبي تسجيلها للأجيال القادمة في خلد التاريخ بأسلوب أدبي رائع، وعلى هذه النونية الألبية وغيرها من ابتكاراته الرائعة التي يتذوق بها الذوقيون يقول عبد الباقي عند وصف ديوانه السباعيّات:

> هذا الديوان عصارة فكر شاعر علمته الحوادث، وحنكته التجارب، واطلع على العلوم والمعارف، والحضارات المختلفة، والطبائع البشرية المتباينة، وصهرها في بوتقة شعر جميل ذي معان سامية، وأخيلة سامقة، وقواف مرقصة، إنه عمل حافل بحقائق الكون وأسراره، وأحداث الدهر وحوادثه، وبعلاقات الناس مع خالقهم، ثم بعضهم بعضا. (أغاكا، 2005).

ومن جانب غمبا الشاعر النصراوي فتجد شعره بعنوان (IN THE SHADOW) من أروع ابتكاراته الرائعة الممتعة، حيث تمكن من ربط حالته النفسية الفردية مع الحوادث الكونية، وليس كل شاعر يستطيع ذلك، واستمع إليه يقول:

To the shrinking cry of my pen, I did awake
Where is it? I know it was my pen's cry
Its offal a guiding light even the blind would take
And the stars perhaps in fright ran away
Outside their tears formed a big lake

No, it's their sweat as they race into the sky
The rumbling steps over the hills still reverberate
Where's my pen? It will soon be day
My neighbour faints easily and hard to resuscitate
The birds, insects, in confusion will fly
And I've no more taste for rumblings of boots at the gate
My legs cannot walk the ladder into the sky
Where's my pen? It's already day-break
And the sun shines with a bridegroom's grin
Casting shadows of the bayonet on the sought
And the warder by the jailhouse, so grim
In search of prey, in search of a key
In search of a pest, in search of a pet. (Gimba, 2001)

نتائج البحث

أن الانتاج الشعري والأدبي لم يكن لمجرّد المتعة في لحظة الإلقاء، بل يظل مهامه رفع أمجاد الوطن، وتسجيلا للأحداث وتجليات الزمان. ولذلك لم يطل الباحثان في الكلام عن الخصائص، فاقتصرا في بيان كلمة الموازنة والإلتزام في التمهيد خوفا على التطويل، وكما اقتصرا في عرض نبذة حياة الشاعرين ألبي الإلوري وغمبا النصراوي، ثم أتيا بنماذج من شعرهما في الالتزام، وعقبا ذلك بدراسة الموازنة بين الشاعرين مراعيا في دراستهما منهج استنباط الخصائص والمميزات طبقا لما حددها النقاد في دراسة الموازنة الأدبية بين الشاعرين، فتتبعا مواضع اتفقهما، واختلافهما، وإبداعهما، وقد ترك الباحثان الكلام في أسلوبهما دلالة على أن الشاعرين لم يستعملا نفس اللغة في شعرهما، ومهما يكن الأمر، فقد ظهر فيما سبق أن ألبي وغمبا شاعران عملاقان يستحقان التمجيد والثناء في رفع فن الأدب في نيجيريا من ناحية وأدب الالتزام من ناحية أخرى، مع كثرة التحديات، ومع فقدان الأدوات اللازمة للابتكار لم يسكت الشاعران عن الحق، وفي الردّ عن الظلم والظالمين. وأخيرا لقد أثبتت هذه المقالة أن الأدب في نيجيريا عربيته وإنجليزيته يرمي إلى مهام نبيل يتطلب عناية الحكومة إليه، وخاصة في هذه الآونة التي تعاني البلاد برمتها من فقدان القيم الإنسانية الفاضلة، وليكون الأدب سلاح قوي من أسلحة غناء التغير (CHANGE) الذي تنشده الحكومة في أنحاء البلد.

الخلاصة

لم تكن غاية الباحثين القصوى في هذه المقالة إعطاء المتذوقين فرصة أخرى إلى المتعة الفنية أو التذوق الأدبي المنتج ثنايا الموازنة الأدبية بين الأديبين النيجيريين، لا للمفاضلة حتى يقول أحدنا فلان أشعر من نظيره، ولا في استنباط الخصائص والمميزات، وإنما المرمى إليه محاولة توطيد الفكرة بين الأدبين العربية والإنجليزية، وخاصة في شعر الاجتماع، لمكانة هذا النوع من الشعر في تأسيس الأمن والإسقرار في الأرض.

المراجع والمصادر:

أغاكا، عبد الباقي شعيب، (2005م) "تقديم ديوان الرياض"، ص:16 ط/1 مطبعة ألبي، ألوغن جمبا إلورن، نيجيريا.

جمبا مشهود محمود،، (2005) "الشاعر في السطور؛ ديوان الرياض، ط/1، مطبعة ألبي، جمبا مشهود محمود، المرجع السابق، والصفحة.

Life and Works of Abubakar Gimba, (2002), https://en.wikipedia.org/wiki/Abubakar_Gimba, Wikipedia

Abubakar Gimba, 2001, This Land of Ours, Delta publishing, Nigeria

ألبي عيسى أبوبكر، (2005) "ديوان السباعيّات" ص:91 ط/1 مطبعة النهار للطبع، والنشر، والتوزيع.

Abubakar Gimba, 2001, This Land of Ours, Delta publishing, Nigeria, pg. 24

ألبي، المرجع السابق، ص: 120

Abubakar Gimba, ibid, pg 26

ألبي، المرجع السابق، ص: 154

Gimba, ibid, pg 18

انظر الجمحي، محمد ابن سلام، (1975م) طبقات فحول الشعراء، ص 56 ط:5، دار المدني، بجدة.

انظر الآمدي، الحسن بن بشر، (1994م) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ت: أحمد صفر وعبد الله محازن، دار المعارف، مكتبة الخانجي.

راجع زكي مبارك،(2008م) الموازنة بين الشعراء، مع تعديلات يسيرة، مؤسسة هنداوي، للنشر.

ألبي، المرجع السابق، والصفحة

Gimba, ibid, 24

Gimba, ibid, 30

أغاكا، المرجع السابق، ص 7

ألبي المرجع السابق، ص 24

Gimba, ibid, 25